

مادة: منهجية البحث العلمي (محاضرة)

المحاضرة السادسة: المسح الاجتماعي

تعدد تعريف المسح الاجتماعي وتختلف باختلاف الفلسفات العلمية التي ترتبط بجمع البيانات وتحليلها والأهداف المرجوة منها، فهناك من يعرف المسح الاجتماعي "محاولة منظمة لتحليل وتأويل وتسجيل الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو لجماعة أو لمنطقة، والمسح يركز على قطاع عرضي من الحاضر ولفترة من الزمن كافية للدراسة والهدف منه الحصول على مجموعات من البيانات المصنفة وتأويلها والتعميم انطلاقاً منها، كل ذلك بهدف ترشيد التطبيق العملي في المستقبل القريب". كما عرفه عدد من العلماء على أنه¹:

- تعريف يولين يونج: إن المسح الاجتماعي هو عبارة عن دراسة للجوانب المرئية للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة جغرافية محدودة وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج وذلك قصد تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي.
- هويتني: يرى بأن المسح الاجتماعي محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعية أو جماعية أو بيئة معينة وهو ينصب على الوقت الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتصميمها وذلك للاستفادة منها في المستقبل وخاصة في الأغراض العلمية.
- كامبل: محاولة لجمع البيانات بطريقة منظمة سواء من جمهور معين أو عينة منه باستخدام المقابلات أو أي أداة أخرى من أدوات البحث.
- أرمان كوفليه: طريقة أكثر تعمقاً في البحث الاجتماعي.

ضاهر كلالدة، أساليب البحث العلمي في ميدان العلوم الإدارية، دار النشر لزهرا، سنة 1997، ص 124.

- محسن عبد الحميد أحمد: استقصاء في تكوين ونشاط وظروف ومعيشة جماعة من الناس في مكان وزمان معينين.

ويمكننا القول أن المسح الاجتماعي ما هو إلا تعداد إحصائي لقياس الواقع بلحظة زمنية معينة، والمقارنة ما بين المسوح وإدخال المتغيرات في طريقة البحث تعتمد طرائق أخرى في التحليل ورصد أبعاد التغير الاجتماعي.

الخصائص الأساسية لعملية المسح الاجتماعي:

- لا يعتبر المسح الاجتماعي منهجا من مناهج العلوم بل إنه طريقة من طرق البحث الاجتماعي.
- توجه طريقة المسح الاجتماعي لدراسة الظواهر الاجتماعية مجتمع ما في مكان وزمان معينين.
- تتميز طريقة المسح الاجتماعي بأنها تدرس الظاهرة الاجتماعية بأبعادها المختلفة أي بكل تشعباتها وتشابكها، والمجتمع مثل: دراسة أثر الكهرباء في عملية التغير وكل قطاع من قطاعات المجتمع التعليمية والزراعية والصناعية والترويحية وصولاً إلى الفكرية².
- المسح الاجتماعي عملية هادفة ترمي إلى تحقيق أهداف محدودة من ذهن الباحث.
- المسح الاجتماعي لا يعتمد على وسيلة واحدة من وسائل جمع البيانات بل يستخدم العديد من الوسائل والأدوات التي قد تشمل الخبرة الشخصية، الملاحظة البسيطة والمنظمة، الاستبيان والمقابلة الشخصية والاختبارات بأنواعها المختلفة.
- ليس بمجرد حصر لما هو قائم بالفعل ولكنه عملية تحليلية من حيث الوقوف على الظروف المحيطة بالعملية والعناصر الأساسية أو الداخلية أو المساعدة التي يترتب على وجودها أو امتناعها تغير في النتيجة³.

أهم المجالات التي يمكن للباحث أن يلجأ فيها للاستعانة بطريقة المسح الاجتماعي:

ضاهر كلالدة، نفس المرجع السابق، ص 124.

محمد الأزهر سعيد السماك، طرق البحث العلمي، بيروت: دار الأمل، 1998، ص 129.

- نستخدم طريقة المسح الاجتماعي إذا كان موضوع البحث في الحاضر.
 - نستخدم هذه الطريقة في البحث إذا أردنا أن نلقي صورة عرضية عن واقع المجتمع سواء أكان في مجتمع الريف أو المدينة.
 - نستخدم طريقة المسح الاجتماعي إذا أردنا أن ندرس الاتجاهات والاعتقادات السائدة في مجتمع ما.
 - نستخدم هذه الطريقة في المقارنة بين حال وحال في التغير الاجتماعي، مثلًا نين الآثار المترتبة على دخول الكهرباء في مقارنة نتائج المسحيين الاجتماعيين على جوانب قطاعات المجتمع كافة.
 - عند دراسة المؤسسات والمشاكل الاجتماعية وقضايا المعوقين فندرس البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي أحدثت وأوجدت الظروف المترتبة لحدوث العجز⁴.
- خطوات المسح الاجتماعي⁵:

- (1) تحديد مجتمع البحث: أي مجموع الأفراد أو الوحدات التي تجمعها صفة واحدة أو مجموعة من الصفات المشتركة.
- (2) تصميم استمارة إستبانة لجمع البيانات: التي تشمل على مجموعة من الأسئلة المحتاجة إلى إجابات عنها من وحدات مجتمع البحث لكي تحقق الغرض الذي يسعى إليه الباحث.
- (3) تحديد خطة الدراسة: تجمع البيانات لهذا المنهج من تجمع وحدات أو مفردات البحث ويطلق على ذلك (الحصر الشامل) بعض وحدات أو مفردات مجتمع البحث أي أخذ عينة من المجتمع الشامل ويطلق على ذلك أسلوب (العينة).

إخلاص محمد عبد الحفيظ، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي في المجالات التربوي والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر، 2004
عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم النفسية والتربوية، مصر: دار النمير، 2006، ص 126-127.⁵

- (4) جمع البيانات والمعلومات: وذلك من خلال تحديد مسارات جمع البيانات الميدانية والقيام بالمقابلات والزيارات الميدانية أو الإرسال البريدي لاستمارات الإستبانة ومراجعة البيانات المجمعة للتحقق من مدى صحتها وصلاحتها للبحث.
- (5) عرض النتائج وكتابة التقارير: وذلك من خلال تسجيل النتائج المتوصل إليها وتحديد مدى التعميم من النتائج إلى مواقف مشابهة لموضوع الدراسة وتسجيل النتائج بما يسير الخطوات المستخدمة في الوصول إليها، فالنتائج ما هي إلا حصيلة للعمليات والإجراءات والافتراضات التي يبني عليها الباحث دراسته.
- (6) قم بجمع البيانات وتحليلها باستخدام أدوات التحليل الإحصائي المناسبة

وأيضاً خطوات إجراء المسح الاجتماعي:

- (1) التخطيط الواعي لموضوع الدراسة.
- (2) تحديد الأهداف العامة والمخصصة بالمسح وتحديد نوع المسح المراد تطبيقه
- (3) اختيار العينة التي سيجري عليها الباحث المسح.
- (4) تحديد الوسيلة أو عدد الوسائل التي سيتم من خلالها جمع البيانات.

أهمية المسح الاجتماعي في إعداد البحوث الاجتماعية:

لا يزال انخلاف قائم بين المختصين في العلوم الاجتماعية حول أهمية المسح الاجتماعي⁶. فالبعض يرى بأن المعلومات التي يتم الحصول عليها وجمعها من خلال المسح الاجتماعي معلومات لا قيمة لها وقليلة الأهمية بالنسبة للبحوث الاجتماعية. فيما يرى فريق آخر أنه بالإمكان اعتبار المسح الاجتماعي الطريقة الوحيدة التي يمكن لعالم الاجتماع جمع البيانات الموثوق بها. وعلى الرغم من هذا الاختلاف والتباين في وجهات النظر بين الاجتماعيين حول أهمية المسح الاجتماعي فإن ذلك يكون تبعاً لدقة النتائج والتحليل الذي ينجز عند إتباع هذه الطريقة.

محمد الأزهر سعيد السماك، مرجع سبق ذكره، ص 129-130.

فإن للمسح فائدة نظرية حيث يلجأ إليها الباحث بعد أن أجريت بحوث على الظاهرة، ويستفاد من البحوث المسحية في إعداد الخطة على مستوى الدولة في التعرف على رغبات وميول أفراد وجماعات المجتمع واحتياجاتهم، ويستفاد منه في الدراسات الاجتماعية القائمة وتجديد المدى وتأثيرها على المجتمع وتقدير مدى معرفة الأفراد بهذه المشكلات ومعرفة الإمكانيات المتوقعة لحل هذه المشاكل.

أنواع المسح الاجتماعي:

- منهم من يعتمد على طبيعة الدراسة لتحديد أنواع المسح تبعاً لذلك نجد هناك مسحاً وصفيًا وآخر تحليليًا.
- بالنسبة لشمولية الدراسة فهناك المسوح العامة والخاصة، أما تقسيم المسح الاجتماعي بالرجوع إلى الجغرافية للبحث فإنه يفرز أنواعاً ترتبط بمكان الدراسة سواء أكان في دولة أو إقليم أو عدة دول أو قرية أو مدينة.
- إن تصنيف أنواع المسوح يمكن أن يعتمد على عدة محاور ترتبط في أحد جوانبها بتعريفنا للمسح وتتلخص تلك المحاور بما يلي:
 - (1) المكان: الذي تجري فيه أو المجال الذي تهتم به كالمسوح الريفية ومسوح المدينة.
 - (2) الزمان: كأن يكون في أزمدة متباينة لقياس أبعاد التغير الاجتماعي، كبحث كهربة الريف (صورة الواقع الاجتماعي قبل إدخال الكهرباء إلى الريف).
 - (3) حسب الشمول: كأن يكون المسح لظاهرة واحدة أو لعدة ظواهر اجتماعية في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات.
 - (4) حسب الأهداف المراد تحقيقها: فقد ترمي أهداف البحث إلى مزيد من الترابط بين المسح الاجتماعي والخطة الشاملة أو تناول دراسة التعليم مثلاً مدى مواءمته لخطة التنمية أو دراسة الواقع الصناعي.

أدوات البحث المستخدمة في المسح الاجتماعي:

- يستعين القائم بالمسح الاجتماعي بمعظم الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية.
- يتوقف اختياره للأداة على (موضوع الدراسة، وخطة المسح، ومداه، ونوع المعلومات المطلوبة).
- من أكثر الأدوات شيوعاً في المسح الاجتماعي (الملاحظة - المقابلة - الإستبيان)⁷.

تنقسم أهداف المسوح الاجتماعية إلى:

(1) مسوح وصفية.

(2) مسوح تفسيرية.

أما من حيث الحجم في المسوح الاجتماعية فإنه إما أن يكون:

(1) مسح شامل

(2) مسح بالعينة⁸

تشتمل العينة الدراسات المسحية على:

(1) المسح التربوي المدرسي وطريقة تحليل العمل.

(2) الدراسات المسحية للرأي العام.

(3) مسح السوق.

(4) المسح الاجتماعي.

مجالات المسوح الاجتماعية:

رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي (أساسياته النظرية وممارسته العملية) دار الفكر المعاصر، 2007⁷
www.alyaseer.net⁸

(1) دراسة الخصائص الديمغرافية لمجموعة من الناس وتشمل الدراسة معرفة حال الأسرة من ناحية (عدد الأبناء - السن - درجة الخصوبة - وغيرها من المعلومات السكانية).

(2) دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لجماعة من الجماعات، ويشمل ذلك معرفة (دخل الأفراد، مستويات المعيشة، دراسة أوجه النشاط المختلفة، مدى الإقبال على برامج الإذاعة والتلفزيون والتردد على الأندية، الجرائد والمجلات التي يقرأونها).

(3) دراسة الجوانب الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والمعايير السلوكية.

(4) دراسة آراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم.

يفضل استخدام المنهج المسحي الاجتماعي في الحالات التالية:

- عندما يكون حجم مجتمع البحث كبيراً.
- عندما يكون الهدف الحصول على بيانات يمكن تكميمها (تحويلها إلى بيانات كمية).
- عندما تكون المعلومات محددة ومألوفة لدى الباحثين.
- عن وصف مجتمع البحث ببيان خصائصه ومكوناته المختلفة مثل الخصائص النوعية والتعليمية والاقتصادية، واختبار الفروض المبدئية والسببية والخروج بتعميمات يمكن أن تساهم في حلول بعض المشاكل الاجتماعية والتنبؤ بالظروف المستقبلية.
- تستخدم المسوح الاجتماعية في دراسات الجدوى عند خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية، بإجراء مسوح قبل بدء المشروع ومسوح دورية تقييمية بعد إكمال المشروع المكشف عن فعاليته وتحقيقه الأهداف⁹.

أوجه الاختلاف بين المنهج المسحي والمنهج البحثية:

- يختلف المنهج المسحي عن المنهج البحثية الأخرى بما يلي:

صلاح مراد، طرائق البحث العلمي، تصميماتها وإجراءاتها، دار الكتاب الحديث، 2001⁹

(1) يختلف المنهج المسحي عن المنهج التاريخي في أن المسح يركز بينما تركز الدراسات التاريخية على الماضي وأحداثه وما على الحاضر تركه من آثار على الحاضر.

(2) يتميز المنهج المسحي عن المنهج التجريبي في أن المسح يدرس الظروف كما هي عليه في الواقع ولا يتدخل فيها بينما تجري المنهج مسيرة الأحداث التجريبي في المختبر، كما يهتم التجريب في دراسة الظواهر بحثاً عن الأسباب والتعرف على العوامل التي تؤثر فيها.

(3) يختلف المسح عن المنهج دراسة الحالة في جانبين حيث تتميز دراسة الحالة بالتحقق في دراسة وحدة دراسة تفصيلية.

- أما الدراسات المسحية فتدرس مجال أوسع أو عدد أكبر من الوحدات ولكن أقل عمقاً.

- يتدخل في الدراسات المسحية أو البحث العلمي المختلفة للحصول على المعلومات والبيانات اللازمة مثل الاستبيان والمقابلة وهي أكثرها شيوعاً، التي يعدها العاملون عن نشاطاتهم ودراساتهم الوظيفة اليومية والدورية.

مزايا المسح الاجتماعي:

- لعل الميزة الكبرى في المسح الاجتماعي والتي لا يجاريه فيها أي منهج آخر هي في تجميع قدر هائل من البيانات من أفراد متوزعين في مناطق متباعدة مما لا ييسر ذلك في غيره.

- تعتبر تكلفة إجراء المسوح (باستخدام الاستبيان البريدي بشكل خاص) منخفضة التكاليف إلى حد ما.

- إمكانية تعميم نتائج المسح عالية بسبب كبر حجم العينة عادة.

- أنه لا يكفي بأداة واحدة في جمع البيانات وإنما يستعين بمعظم الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية وأهمها المقابلة، الملاحظة، الاستبيان، تحليل المحتوى.
- توفر كثير من الجهد والوقت والمال إذا أحسن استخدام المنهج¹⁰.

عيوب المسح الاجتماعي:

- يسعى المسح إلى وصف أو تفسير ظواهر واقعية في فترة زمنية يعيشها الباحث ولذلك فإنه لا يناسب الدراسات التي تسعى إلى معرفة التطور التاريخي لمجتمع من المجتمعات.
- من أهم عيوب المسح الاجتماعي انخطأ الذي يقع فيه الباحث أثناء اختيار العينة وكذلك خطأ التحيز سواء كان تحيزاً من قبل الباحث أو المبحوث.
- ضخامة الجهود والنفقات والخبرات الفنية التي يطلبها المسح.
- تعتبر الدراسات المسحية سطحية في وصفها لسلوك وتوجهات التجمعات كبيرة الحجم، وقلما تستطيع النفاذ لجمع بيانات متعمقة من المبحوثين.
- عدم قدرة الباحث في بعض الأحيان على الحصول على الاستجابات من جميع المبحوثين، مما يثير قضية مدى اختلاف مواقف واتجاهات من لا يستجيبوا للاستبيان البريدي مثل عن مواقف واتجاهات من استجابوا فعلاً والذين قد يكون لهم دافع خاص للاستجابة.
- الدراسات المسحية لا تستطيع من حيث المبدأ النفاذ إلى العلاقات السببية لافتقارها إلى التحكم في المتغير المستقل من جانب الباحث.
- بالرغم من فوائد المسح الكثيرة إلا أنه محدود في مدى الاعتماد عليه للأسباب التالية:

¹⁰ محمد عبيدات، مناهج البحث العلمي وأساليبه، دار مجدلاوي، 1997.

- لجمع بيانات كمية عن بيئة من البيئات لابد من توجيه عدد كبير من الأسئلة للمبحثن.
- تتوقف أهمية المسح الاجتماعي على عدد أفراد العينة.
- نظراً لأن المسح الاجتماعي يركز على دراسة الحاضر فإنه لا يصلح في الدراسات التطورية التي تعتمد على الربط بين الماضي والحاضر¹¹.

منهجية البحث العلمي (محاضرة)

¹¹ مواقع الأنترنت:
www.kaau.org
www.3poil.net